# اللحظة الأخيرة

Last Minute

فضيلة الشيخ

محمد الصاوى

دار الدين القيم
للنشر والتوزيع

# اللحظة الأخيرة

تاليف
الشيخ محمد الصاوي





اسـم الكتاب: اللحظة الأخيرة.

المؤلف: الشيخ محمد الصاوي.

عدد الصفحات: ٩٦.

الطبعة الأولى: ٢٠١٢م – ١٤٣٣هـ.

رقم الإيداع: ٢٠٣٢/ ٢٠١٢.

الناشر: دار الدين القيم للنشر والتوزيع.

# مُقَدِّمَة

**الحمدُ لله الملك القدوس السلام، فالق الحب والنوى، خالق الأنام، فطرتُ حياتي على الفقر لك، وفكري وقلبي على العلم بك، ونفسي على حب ما قد وهبت، وروحي وعقلي على الأنس بك..**

لذلك يا رب آمنتُ بك خضوعًا وحبًّا وأسلمت لك، على رُغم أنف الجحود الكنود آمنتُ بك، ثم آمنت بك، رضيتك ربًّا فأذللتُ قلبًا وروحًا ولبًّا إلى عزتك، وأخضعت نفسي وفكري وحسي ووجهي ورأسي إلى قدرتك، وسلَّمت أمري بجهري وسري وخيري وشري إلى حكمتك..

صلاتي ونسكي، خشوعي وحبي، خضوعي وقربي إلى حضرتك، ومحياي ربي وغفران ذنبي وموتي وبعثي إلى رحمتك ..

إلهي إلهي تباركت في علاك فإني آمنت بك، إلهي إلهي تعاليت في ثناك فإني أسلمت لك..

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين..

൨ ഌ

أما بعد..

فاللحظة الأخيرة، وما أدراك ما اللحظة الأخيرة؟!

إنها لحظة الممات وتوديع الحياة..

إنها لحظة البعد عن اللذات ومفارقة الشهوات..

إنها اللحظة التي تُبكي كل صغير وكبير، وأمير ووزير، وملك وفقير..

إنها اللحظة التي تقف أمامها كل العقول عاجزةً عن تفسير معناها أو إدراك حقيقتها..

## وجاءكم النذير

**يحيا الإنسان حياة مليئة بالطعام والشراب، والذهاب والإياب، والمتعة والحديث، والنزهة والأسفار، ثم تأتيه اللحظة الأخيرة ليرحل عن كل شيء ..**

الوالدة تبكي .. والأخت تصيح ، والزوجة تنوح..

والأبناء والأطفال ينظرون حيارى لا يصدقون.

أعطوني قلوبكم الآن، ولتصغ إليَّ كل الآذان..

إليكم تلك الكلمات .. كلماتٌ لمن قست قلوبهم، وغرتهم دنياهم..كلمات لكل شاب يلهو ولكل فتاة تعبث..

كلمات للمصلين والصائمين والطائعين..

كلمات للعبَّاد والزهَّاد والآباء والأجداد والأبناء والأحفاد..

كلمات لكل عين جفَّ دمعُها فهي تشتاق أن تبكي، ولكل قلب جف واحته فهو يشتاق أن يُروى.

إلى كل مسلم ومسلمة.. إلى كل شاب وفتاة..

إنني أدعوكم وفي قلبي حوطة..

**أناديكم وأنا أدعو ربي أن نموت على قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأرجو أن يكتب لكل واحد منا خاتمة حسنة، وأن نُزحزح عن النار وأن ندخل الجنة..**

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:١٩ - ٣١]

وقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥]

وقال ﷻ: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٧]

ﷻ

## اختر لك ميتة

يا شباب، يا فتيات .. علام تريدون أن تموتوا ؟ على شهادة وتوحيد أم على معاصٍ وقيود ..

على قرآن ونور أم على آلام وهموم ..

على دموع توبة في جوف الليل.

أم على دموع آلام الموت وحشرجة الحلقوم ..

بالله عليكم توبوا الآن، ابكوا الآن، تضرعوا الآن، ادعوا ربكم الآن..

يا رب، يا رب، لا نريد أن نموت إلا على ما يرضيك.

لا نريد أن نموت على فسق وفجور ..

لا نريد أن نموت على غير طاعتك ..

لا نريد أن نجد مشقة في نطق: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

# سوء الخاتمة

الخاتمة السيئة هي أن تكون وفاة الإنسان وهو مُعرض عن ربه جل وعلا، مقيم على مساخطه سبحانه، مضيع لما أوجب الله عليه، ولا ريب أن تلك نهاية بئيسة، طالما خافها المتقون، وتضرعوا إلى ربهم سبحانه أن يجنبهم إياها.

## أسباب سوء الخاتمة

إن سوء الخاتمة يرجع لأسباب يجب الحذر منها، وأهمها:

- **فساد الاعتقاد، فإن من فسدت عقيدته ظهر عليه أثر ذلك وهو أحوج ما يكون إلى العون والتثبيت من الله تعالى.**
- **الإقبال على الدنيا والتعلق بها.**
- **العدول عن الاستقامة والإعراض عن الخير والهدى.**
- **الإصرار على المعاصي وإلفها، فإن الإنسان إذا ألف شيئًا مدة حياته واحبه وتعلق به ذَكرَه عند الموت، ورَدده حال الاحتضار في كثير من الأحيان.**

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت، مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة»، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان:٢٩].

**وسوء الخاتمة** - أعاذنا الله منه - لا يقع فيه من صلح ظاهره وباطنه مع الله، وصدق في أقواله وأعماله، فإن هذا لم يسمع به ، وإنما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه اعتقادًا، وظاهره عملًا، ولمن له جرأة على الكبائر، وإقدام على الجرائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة.

**أخي الكريم**، لأجل ذلك كان جديرًا بالعاقل أن يحذر من تعلق قلبه بشيء من المحرمات ، وجديرًا به أن يلزم قلبه ولسانه وجوارحه ذكر الله تعالى، وأن يحافظ على طاعة الله حيثما كان، من أجل تلك اللحظة التي إن فاتت وخذل فيها شقي شقاوة الأبد.

### نماذج لسوء الخاتمة:

وقد يظهر على بعض المحتضرين علامات أو أحوال تدل على سوء الخاتمة، مثل النكوب عن نطق الشهادة - شهادة أن لا إله إلا الله - ورفض ذلك، ومثل التحدث في سياق الموت بالسيئات والمحرمات وإظهار التعلق بها، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تدل على الإعراض عن دين الله تعالى والتبرم لنزول قضائه.

**ولعل من المناسب أن نذكر بعض النماذج على ذلك، ومنها:**

• ما ذكره العلامة ابن القيم ﷺ في كتابه «الجواب الكافي» أن أحد الناس قيل له وهو في سياق الموت: قل: «لا إله إلا الله» فقال: وما يغني عني وما أعرف أني صليت لله صلاة؟! ولم يقلها.

• ونقل الحافظ ابن رجب ﷺ في كتابه «جامع العلوم والحكم» عن أحد العلماء، وهو عبد العزيز بن أبي رواد أنه قال: حضرتُ رجلًا عند الموت يُلقَّن «لا إله إلا الله»، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه، فإذا هو مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب؛ فإنها هي التي أوقعته.

• ونحو هذا ما ذكره الحافظ الذهبي ﷺ أن رجلًا كان يجالس شاربي الخمر، فلما حضرته الوفاة جاءه إنسان يلقنه الشهادة فقال له: اشرب واسقني، ثم مات.

• ومن ذلك ما ذكره العلامة ابن القيم ﷺ عن رجل عُرف بحبه للأغاني وترديدها، فلما حضرته الوفاة

قيل له: قل: «لا إله إلا الله»، فجعل يهذي بالغناء ويقول: تاتنا تنتنا. حتى مات، ولم ينطق بالتوحيد.

• وقال ابن القيم أيضًا: أخبرني تاجر عن قرابة له أنه احتضر وهو عنده، وجعلوا يلقنونه «لا إله إلا الله» وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، وهذا مشتر جيد، هذه كذا. حتى قضى ولم ينطق بالتوحيد، نسأل الله العافية والسلامة من كل ذلك.

• وهاهنا تعليق للعلامة ابن القيم ﷺ نورد ما تيسر منه، حيث عقَّب على بعض القصص المذكورة آنفًا، فقال: سبحان الله، كم شاهد الناس من هذا عبرًا، والذي يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم، فإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه، قد تمكن منه الشيطان، واستعمله فيما يريده من معاصي الله، وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى، وعطل لسانه عن ذكره، وجوارحه عن طاعته، فكيف الظن به عند سقوط قواه واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع؟ وجمع الشيطان له كل قوته وهمته، وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته، فإن ذلك آخر العمل، فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك

الوقت، وأضعف ما يكون هو في تلك الحال، فمن ترى يسلم من ذلك؟ فهناك ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧] فكيف يوفق بحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره، واتبع هواه، وكان أمره فرطًا، فبعيد من قلبه بعيد عن الله تعالى غافل عنه ، متعبد لهواه، أسير لشهواته، ولسانه يابس من ذكره، وجوارحه معطلة من طاعته، مشتغلة بمعصيته – بعيد أن يوفق للخاتمة بالحسنى.

• وسوء الخاتمة على رتبتين – نعوذ بالله من ذلك – إما الشك أو الجحود فتقبض الروح على تلك الحال وتكون حجابًا بينه وبين الله، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد.

• والثانية وهو دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا أو شهوة من شهواتها المحرمة، فيتمثل له ذلك في قلبه، والمرء يموت على ما عاش عليه، فإن كان ممن يتعاملون بالربا فقد يختم له بذلك، وإن كان ممن يتعاطون المحرمات الأخرى مثل المخدرات والتدخين و يسمعون

الأغاني ومشاهدة الصور المحرمة وظلم الناس ونحو ذلك فقد يختم له بذلك، أي بما يظهر سوء خاتمته والعياذ بالله، ومثل ذلك إذا كان معه أصل التوحيد فهو مخطور بالعذاب والعقاب.

﴿﴾

## لعنة الإنترنت

شاب اسمه «رائد» بدأ يتعرف على رفقة فاسدة همها الشهوات والمعاكسات.. سهر وسفر، أوقات تمضي ويضيع معها العمر، ثم أدخل رائد جهاز الكمبيوتر إلى منزله، وبدأ يتصفح الإنترنت وكان أصدقاؤه يرسلون إليه عبر الإنترنت الصور الجنسية الفاضحة، وهو يستلذ بالنظر إلى الحرام، فلم يترك رائدًا موقعًا إباحيًّا إلا وتصفحه، واشترك فيه، ولا بريدًا إلا وراسله وتعاون معه..

وأصبحت صلوات وعبادات رائد مجرد ذكريات مرت عليه في دراسته الثانوية، أما بعد دخوله الجامعة فهو لا يعرف إلا فتيات الليل وقنوات السقوط والحرام..

وذات يوم كان رائد ساهرًا مع جهاز الكمبيوتر مغلقًا باب غرفته عليه، وأذَّن المؤذن لصلاة الفجر، ودعاه داعي الإيمان في قلبه أن ينهض ليقبل على ربه، لكن الشيطان كان أقوى، وكثيرًا كان يدق عليه والده باب غرفته قائلًا: هيا يا رائد، أذَّن المؤذن للفجر، فيرد رائد: «طيب» ولا حياة لمن تنادي..

شباب وقوة.. وغرور وفتنة.. وتسويف في التوبة حتى جاءت لحظات الوداع الأخيرة إذ كان تلك الليلة على موعد لمشاهدة فيلم جنسي..

دخل سريعًا إلى غرفته، وكان الناس يؤدون صلاة العشاء في المسجد المجاور، ثم وضع قرص الـ cd في الجهاز، وأغلق باب غرفته بالمفتاح، ثم بدأ يشاهد الفيلم، وبدأ يستلذ فثارت شهوته أكثر فبدأ يمارس العادة القبيحة، وخلع ملابسه، وجرد نفسه وهو على شهوته ماض، وفجأة يصرخ «آه.. آه.. » صرخة مدوية أفزعت الأم وأخافتها.

جاءت الأم إلى ولدها مسرعة، فإذا بولدها في غرفته يصرخ ويبكي: «يا أمي الحقيني سأموت»، والأم تصرخ «افتح يا ولدي» فيقول: «لا أستطيع يا أمي، لا أستطيع».

كان قلب رائد ينتفض بين ضلوع صدره.. كانت اللحظات عصيبة.. ضيق في التنفس، واصفرار في الوجه، وبرودة في الأطراف، ويزيد الصراخ..

والله لقد حدثني ذلك الشاب الذي روى لي القصة، وكان جارًا لرائد، يقول: كنت نازلًا على الدرج وإذا بي أجد جارتنا

أم رائد تصرخ وتستغيث، ثم يقول: دخلت البيت سريعًا، وحاولت أن أفتح باب غرفته فلم أستطع، فبدأت أنادي يا رائد يا رائد، ولم يجبني أحد، فقلت لوالدته: هل تأذنين أن أكسر الباب، قالت: نعم، فدفعت الباب بقدمي بكل قوتي فانفتح الباب ليصطدم برأس رائد الملقىٰ علىٰ الأرض، كان رائد عاريًا وكان الفيلم علىٰ جهاز الكمبيوتر لا يزال يُعرَض، فصرخت الأم وولولت، فغطيته بملاءة، وحاولت أن أتحسس نبضه ودقات قلبه لكنها كانت اللحظات الأخيرة..

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق:١٩-٢٠].

## يا لسوء الخاتمة

مارية فتاة بيضاء جميلة، حسنة القوام، مشهورة بين صديقاتها بالضحك والفكاهة، لكنها كانت تحمل صفة قبيحة لن أخبركم بها الآن..

عاشت مارية حياتها على لهوٍ ومعاصٍ، تقضي ساعات طويلة على سماعة الهاتف، يناديها ربها إلى الصلاة فلا تستجيب..

أنهت الدراسة الثانوية، وكانت طموحاتها أن تكون مغنية مشهورة، ولكن لم تتحقق الأمنية، وكان لديها في السنة الأولى من الجامعة الكثير من الصديقات والأصدقاء، ثم بدؤوا يقِلُّون.

وكانت مارية تستلذ بصنع المقالب في أصدقائها وإشعال الفتنة فيما بينهم حتى أنها جعلت شابًا يفسخ عقد الزواج مع زوجته التي كانت طالبة معهم بسبب النميمة التي كانت تمشي بها بين الرجل وزوجته، ومرة تسببت بطرد زميلة لها

من الامتحان بزعمها أنها كانت تغش، وذلك انتقامًا منها لأنها كانت تنصحها بالحجاب الشرعي.. كم وكم قد أفست مارية! وانتهت السنة الثانية من الجامعة لتسقط مارية ضحية لعلاقة محرمة.. وبعد ذلك كانت تقع في العلاقات المحرمة.. وهي لا تبالي، لا شيء يردعها، ولا شيء يخيفها.. خرجت ذات ليلة، فصدمتها سيارة في حادث مروع، وحُملت للمستشفى، ولم يعلم الأهل بأمرها إلا في اليوم الثاني فجاؤوها في غرفة العناية المركزة، فوجدوها لا تتحرك ولا تتكلم والأجهزة والأنابيب حولها من كل مكان، وكانت أمها تحاول أن تقرأ عليها آيات من القرآن، فإذا سمعتها اضطربت واهتزت وتحركت في سريرها فتخاف الأم وتوقف القراءة.

ظلت هكذا أسبوعًا كاملًا، وجاءت اللحظة الأخيرة.. كان ملك الموت واقفًا عند رأسها، ولم يكن أحد من أهلها أو الممرضات بجوارها، وبدأت الروح تغرغر في حلقها.

تمنت أن تصرخ بكل ما أوتيت من قوة.. يا رب أرجعني إلى الدنيا لأعمل صالحًا، يا رب أرجعني إلى الدنيا لأصلي، يا رب أرجعني إلى الدنيا لأتحجب الحجاب الشرعي، يا رب،

يا رب، خرجت روحها وفارقت الحياة.

تحدثني إحدى الأخوات فتقول لي: إن المرأة التي غسلت مارية تقول: كان وجه مارية أسود على غير طبيعته لكن الفاجعة التي أبكتني وأبكت المغسلة أن الغائط كان يخرج من فمها.. تقول المرأة: كلما نظفت فمها عاد ليمتلئ بتلك القاذورات، فكنت استغفر الله وأبكي وأدعو لها بالرحمة.

تقول: والله لقد ربطت رأسها ولا يزال في فمها تلك الروائح الكريهة، وقد سألتني تلك المغسلة هل كانت هذه الفتاة مشهورة بمعصية معينة؟ قالت لها: كانت تنم بين الفتيات وتوقع بينهن الفتنة بغيبة وكذب محرم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٢-١٠٨].

**هكذا اللحظة الأخيرة تمر على الإنسان،**
**فإما أن يُوفق فيها إلى خاتمة حسنة، وإما أن**
**يموت على غيرها..**

وقد صح عن النبي ﷺ: **«من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»**[1].

يا رب اجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله.. لا تمتنا إلا على لا إله إلا الله، لا تقبض أرواحنا إلا على لا إله إلا الله، لا تجعل خاتمتنا إلا على لا إله إلا الله.

❀❀

(١) صحيح: «صحيح الجامع» (٥١٥٠).

## وانقلب العرس إلى مأتم

تحدثني إحدى الفتيات فتقول: كانت لنا جارة راقصة ترقص في الأفراح، وكانت مشهورة – والعياذ بالله – بالمعاصي وسوء الخلق، وكان زوجها غير غيور..

قال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة ديُوث**» رواه أحمد.

والديوث هو الذي يرضى بالفحش في أهله، ولا يغار على عرضه.

وكانت حياة تلك الراقصة غريبة عجيبة، فقد كانت لا تعرف الصلاة مطلقًا، وكنا نحن الجيران نزور بعضنا في الأعياد والأفراح.

وفي يوم دعيت إلى عرس صديقة لي، وكانت تلك الصديقة صالحة إلا أن والدها كان عاصيًا وأصر على أن يأتي براقصة في عرس ابنته.

وجاءت تلك الراقصة وظلت ترقص على المسرح وتغني وتتعرى ولم يكن على جسدها سوى قطعتين تستران السوءة،

فتركتُ الفرح وخرجتُ من مكان الرقص وذهبتُ أتحدث مع صديقاتي..

وفجأة سمعنا صراخًا فرجعنا فإذا الراقصة متمددة على الأرض عارية، وإذا الناس حولها متحلقون، قالت إحدى النساء: أنا أعرفها إنها تدور من شدة الرقص فزيدوا لها في الموسيقى حتى تفيق فزادوا لها الموسيقى، وبقيت الراقصة على حالها ولم تفق عندئذٍ جاءت طبيبة من الحاضرات، وأخبرت الحضور أنها قد ماتت.

**تقول الفتاة:**

ولقد كنا نغطيها ولكن الغطاء كان ينزلق عنها فتتعرى ولقد استدعينا زوجها وكان يحاول أن يغيطها بيديه لكنها كانت تتعرى فتظهر عورتها، وانقلب العرس إلى مأتم، وحملت تلك الراقصة إلى المشفى، وذهبت معها إلى مغسلة الموتى، ورفضت الأخوات الصالحات أن يغسلن تلك المرأة العاصية.

**تقول الفتاة:**

والله لم نستطع أن نكفنها، فكلما وضعنا القماش سقط فربطنها بشدة وقوة، وحُملت في سيارة الإسعاف إلى المقبرة، ودُفنت ولم يصلِّ عليها أحد.

بالله عليكم لماذا تموت مسلمة على هذه الحال؟

لماذا تودع الحياة على غير شهادة التوحيد؟

لماذا تكون خاتمتها غير حسنة؟

لأنها عاشت على غير طاعة الله ﷻ.

## ضحكات وصرخات

يـا عظـيم في عــلاه مــد قلــبي بالحيــاة
وامـحُ يـا رحمـن وزري أنـت تغفـر للعـصاة
عشت في الدنيا حزينًا كم شكت مني الصلاة
مـصحفي مـل ابتعـادي عنـه في كل اتجـاه
في حِمىٰ الشهوات ضعت سرت في درب الغواة
ينقـضي ليــلي بــذنب فــوق شاشــات أراه
قالـت الفتيـات أنـتِ هـل تريـدين الحيـاة
قلدي تيك الجميلـة واخلـعي عنـك العبـاه
ثـم طـرت بـلا حيـاء للهـوىٰ أقفـو خطـاه
أطلـق الطـرفَ كحـيلًا أو أصـاحب كل لاه
لكـن اليـوم إلـهي تبـتُ في ليـل القـساة
قد علمتُ الآن حقًّـا كيـف ترتـاح الفتـاة
إن لي لله أســعىٰ أرتــجي منــه رضــاه
زفــرات الـــصدر قالـــت آه يــا ربــاه

آه ضحكات .. وصرخات موسىٰ شاب حياته كلها لهو ولعب وطبل وزمر.. كان منطلقًا بسيارته علىٰ إحدىٰ الطرق السريعة مسافرًا وفي الطريق مر بجوار سيارة كان فيها أربع شباب كانوا يتعجبون من سرعته الخيالية، ثم تجاوزهم حتىٰ غابت سيارته عن أنظارهم، وفجأة وبينما هم في الطريق إذا بهم يجدون سيارة موسىٰ وقد أصحبت كومة حديد وقد انقلبت عدة مرات علىٰ جانب الشارع.

قال راوي القصة: نزلنا مسرعين فإذا موسىٰ حي يضحك، والمسجل ينبعث منه صوت غناء عربي، فقلنا له: اطفئ هذا المسجل فرفض وطلب أن نخرجه من السيارة..

وبدأنا نحاول إخراجه فحطمنا زجاج السيارة لنخرجه من أي جهة لكننا لم نستطع فقد كان كرسي السائق مثنيًا عليه، وهو لا يستطيع الخروج.

وفي تلك الأثناء قام أحد الشباب بالاتصال بالدفاع المدني ليخرجوا موسىٰ بمعداتهم الخاصة.

وقف بعض الشباب يتحدثون مع موسىٰ قائلين له هذا نتيجة زيادة السرعة فاحذر، وهو يضحك ولا يبالي وكأن شيئًا

لم يحدث، وكان خزان البنزين قد ثُقب عدة ثقوب نتيجة انقلاب السيارة العنيف، وبدأ البنزين يسقط بهدوء على السيارة، ويتسلل إلى مقاعدها دون شعور أحد.

وأثناء الحديث كان أحد الشباب متكئًا بعيدًا على سيارته وأخرج علبة سجائر فلمحه موسى وطلب منه أن يحضر له سيجارة، فقال له أحد الحاضرين: حرام عليك يا أخي، أتفعل هذا بدلًا من أن تستغفر الله وأنت في مثل هذه الحالة؟

ولم يبالِ موسى بهذه الكلمات، ولما طلب من ذلك الشاب السيجارة بإصرار أحضر الشاب له سيجارة، وألقى له بالقداحة داخل السيارة، وما أن رفع موسى السيجارة إلى شفتيه حتى انطلقت النيران، وصرخ موسى فلقد أصابت النيران عينيه.

وابتعد الشباب في اللحظة نفسها التي انطلقت فيها النيران، وبدأت النيران في التهام السيارة وموسى يصرخ أطفئوا النار، أطفئوا النار، وقطعت تلك الاستغاثات صوت انفجار خزان البنزين الذي حرك جسم السيارة، وجعلها تنقلب على الجهة الأخرى، وارتبك الشباب، وبدأوا بالبكاء، وحاولوا إخماد النيران ببعض الرمال المنتشرة على الطريق

لكن لا فائدة..

لقد أكلت النار كل شيء، وبدأت الدموع تنهمر من عيونهم وهم ينظرون إلى موسى الذي تأكل النيران ما تبقى من جسده..

إنها لحظات عظة وعبرة، كيف كانت خاتمة ذلك الشاب البعيد عن ربه؟ كيف كانت اللحظة الأخيرة؟ كان ممسكًا بسيجارة ومات على ذلك وسيبعث على ذلك.

فهل يستيقظ الشباب والفتيات لتكون اللحظة الأخيرة على طاعة فيفوزون بالرضوان؟

يقول الله تعالى:

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ

﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٧ - ١١١].

**متى سنتعظ**

**ونعتبر يا شباب وفتيات الإسلام؟**

**هـل سـيكون ذلـك قبـل أن تـأتي اللحظة الأخيـرة أم بعدها؟**

## حسن الخاتمة

**حسن الخاتمة هو أن يوفق العبد قبل موته للابتعاد عما يغضب المولى ﷻ، والتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة.**

ومما يدل على هذا المعنى ما صحَّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله**» قالوا: كيف يستعمله؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل موته**»[1].

۞۞

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الحاكم في «المستدرك».

# علامات حسن الخاتمة

**لحسن الخاتمة علامات، منها ما يعرفه العبد المحتضر عند احتضاره، ومنها ما يظهر للناس.**

أما العلامة التي يظهر بها للعبد حسن خاتمته فهي ما يبشر به عند موته من رضا الله تعالى واستحقاق كرامته تفضلًا منه سبحانه، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠] وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم، وفي قبورهم، وعند بعثهم من قبورهم.

ومما يدل على ذلك أيضًا ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**، فقلت: يا نبي الله! أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ فقال: **«ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا**

**بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه».**

وفي معنى هذا الحديث قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: «ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته، لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها، وكراهية أن يصير إلى الله والدار الآخرة».

وقال: «ومما يبين ذلك أن الله تعالى عاب قومًا بحب الحياة فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ [يونس:٧]»

وقال الخطَّابي: «معنى محبة العبد للقاء الله إيثاره الآخرة على الدنيا، فلا يحب استمرار الإقامة فيها، بل يستعد للارتحال عنها، والكراهية بضد ذلك».

وقال الإمام النووي ﵀: «معنى الحديث أن المحبة والكراهية التي تعتبر شرعًا هي التي تقع عند النزع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة، حيث ينكشف الحال للمحتضر، ويظهر له ما هو صائر إليه».

أما عن علامات حسن الخاتمة فهي كثيرة، وقد تتبعها

العلماء رحمهم الله باستقراء النصوص الواردة في ذلك، ونحن نورد هنا بعضًا منها، فمن ذلك:

- النطق بالشهادة عند الموت، ودليلة ما رواه الحاكم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[1].
- الموت برشح الجبين، أي أن يكون على جبينه عرق عند الموت، لما رواه بريدة بن الحصيب أن رسول الله ﷺ قال: «**موت المؤمن بعرق الجبين**»[2].
- الموت ليلة الجمعة أو نهارها، لقول رسول الله ﷺ «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلتها إلا وقاه الله فتنة القبر**»[3].
- الاستشهاد في ساحة القتال في سبيل الله، أو موته غازيًا في سبيل الله، أو موته بمرض الطاعون أو بداء البطن كالاستسقاء ونحوه، أو موته غرقًا، ودليل ما تقدم ما رواه

---

(١)«صحيح الجامع» (٥١٥٠).
(٢)رواه أحمد والترمذي.
(٣)رواه أحمد والترمذي.

مسلم في «صحيحه» عنه ﷺ أنه قال: **«ما تعدون الشهيد فيكم؟»** قالوا يا رسول الله، مَن قُتِل في سبيل الله فهو شهيد، قال: **«إن شهداء أمتي إذًا لقليل»** قالوا: فمن هم يا رسول الله، قال: **«من قُتِل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد»**.

* الموت بسبب الهدم، لما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: **«الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»**.

* ومن علامات حسن الخاتمة، وهو خاص بالنساء: موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها أو هي حامل به، ومن أدلة ذلك ما رواه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ أخبر عن الشهداء، فذكر منهم: **«والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة، يجرها ولدها بسرره إلى الجنة»**[1] يعني بحبل المشيمة الذي يُقطع عنه.

* الموت بالحرق وذات الجنب، ومن أدلته أن رسول الله

(١) «صحيح الجامع» (٣٧٣٩).

ﷺ عدَّد أصنافًا من الشهداء فذكر منهم الحريق وصاحب ذات الجنب، وهو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع.

* الموت بداء السل، حيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه شهادة.

* الموت دفاعًا عن الدين أو المال أو النفس، لما رواه أبو داود والنسائي وغيرهما أنه ﷺ قال: **«من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد»**[1].

* الموت رباطًا في سبيل الله، لما رواه مسلم عنه ﷺ قال: **«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان»**.

* ومن أسعد الناس بهذا الحديث رجال الأمن وحرس الحدود برًّا وبحرًا وجوًّا على اختلاف مواقعهم إذا احتسبوا الأجر في ذلك.

---

(١) «صحيح الجامع» (٣٦٩١).

• الموت على عمل صالح، لقوله ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله خُتِم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة خُتِم له بها دخل الجنة»**[1].

فهذه بعض العلامات الدالة على حسن الخاتمة والتي عُلمت باستقراء النصوص، وقد نبَّه إليها العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتابه القيم «أحكام الجنائز».

**واعلم أخي الكريم أن ظهور شيء من هذه العلامات أو وقوعها للميت لا يلزم منه الجزم بأن صاحبها من أهل الجنة، ولكن يستبشر له بذلك، كما أن عدم وقوع شيء منها للميت لا يلزم منه الحكم بأنه غير صالح أو نحو ذلك، فهذا كله من الغيب.**

---

(١) رواه الإمام أحمد وغيره.

# أسباب حسن الخاتمة

**١- الاستقامة:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[فصلت:٣٠].

**٢- حسن الظن بالله:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**يقول الله تعالى: أنا عند حسن ظن عبدي بي**"[١].

**٣- التقوى:**

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[الطلاق:٤].

**٤- الصدق:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

[التوبة:١١٩]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

**٥- التوبة:**

قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور:٣١]

**٦- المداومة على الطاعات.**

**٧- ذكر الموت وقصر الأمل.**

**٨- الخوف من أسباب سوء الخاتمة** كالإصرار على المعاصي والتسويف بالتوبة وحب الدنيا.

᪥

قصص عن حسن الخاتمة:




قصة رواها الشيخ علي القرني:

هاهي عجوز بلغت الثمانين من عمرها في مدينة الرياض، هذه العجوز جلست مع النساء فرأت أنهن لا ينتفعن بأوقاتهن، جلساتهن في قيل وقال، في غيبة ونميمة، في فلانة قصيرة وفلانة طويلة، وفلانة عندها كذا، وفلانة ليس عندها كذا، وفلانة طُلقت وفلانة تزوجت.. كلام إن لم يبعدهن عن الله ﷻ فهو تضييع لأوقاتهن، فاعتزلت تلك المرأة النساء وجلست في بيتها تذكر الله ﷻ آناء الليل وأطراف النهار، وكان أن وضعت لها سجادة في البيت تقوم من الليل أكثره، وفي ليلة قامت ولها ولد بار بها لا تملك غير هذا الولد من هذه الدنيا بعد الله ﷻ، ما كان منها إلا أن قامت لتصلي، وفي آخر الليل يقول ابنها: وإذا بها تنادي، قال: فتقدمتُ وذهبتُ إليها، فإذا هي ساجدة على هيئة السجود، وتقول: يا بني ما يتحرك فيَّ الآن سوى لساني، قال: إذًا أذهب

بك إلى المستشفى، قالت: لا، وإنما أقعدني هنا: قال: لا والله لأذهبن بك إلى المستشفى، وقد كان حريصًا على برها، فأخذها وذهب بها إلى المستشفى، وتجمع الأطباء وقام كل يدلي بما لديه من الأسباب، لكن لا ينجي حذر من قدر.

فعلوا ما قدروا عليه، ولكن الشفاء بيد الله سبحانه وتعالى، فقالت الأم لابنها: أسألك بالله أن تردني على سجادتي في بيتي، فأخذها وذهب بها إلى البيت؛ وحين ذهب بها إلى البيت وضَّأها ثم أعادها على سجادتها، فقامت تصلي.

يقول: وقبل الفجر بوقت ليس بطويل، إذا بها تناديني وتقول: يا بني، أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لتلفظ نفسها إلى بارئها سبحانه وتعالى، فما كان من ولدها إلا أن قام فغسلها وهي ساجدة وكفنها وهي ساجدة وحملوها إلى الصلاة عليها وهي ساجدة، وحملوها بنعشها إلى القبر وهي ساجدة، وجاءوا بها إلى القبر، فزادوا في عرض القبر لتدفن وهي ساجدة.

**ومن مات على شيء بُعث عليه**

**ستُبعث بإذن ربها ساجدة**

## فاعل خير

إنه شخص يسير بسيارته سيرًا عاديًا وهو يقرأ القرآن، والتي تعطلت في أحد الأنفاق المؤدية إلى المدينة، ترجَّل عن سيارته لإصلاح العطل في إحدى العجلات، وعندما وقف خلف السيارة لكي يُنزل العجلة السليمة جاءت سيارة مسرعة وارتطمت به من الخلف..فسقط مصابًا إصابات بالغة.

يقول أحد العاملين في مراقبة الطريق: حضرت أنا وزميلي وحملناه معنا في السيارة وقمنا بالاتصال بالمستشفى لاستقبال شاب في مقتبل العمر.. متدين يبدو ذلك من مظهره.

عندما حملاه سمعاه يهمهم.. ولعجلتهما لم يميزا ما يقول، ولكن عندما وضعاه في السيارة وسارا سمعا صوتًا مميزًا.. إنه يقرأ القرآن وبصوتٍ ندي.. سبحان الله إن هذا مصاب.. الدم قد غطى ثيابه، وتكسرت عظامه، بل هو على ما يبدو على مشارف الموت.

استمر يقرأ القرآن بصوتٍ جميل.. ثم يقول راوي القصة:

أحسست أن رعشة سرت في جسدي وبين أضلعي، وفجأة سكت ذلك الصوت.. التفت إلى الخلف فإذا به رافع إصبع السبابة يتشهد ثم انحنى برأسه، فقفزت إلى الخلف ولمست يده.. قلبه.. أنفاسه، لا شيء لقد فارق الحياة، نظرت إليه طويلًا.. سقطت دمعة من عيني.. أخفيتها عن زميلي.. التفت إليه وأخبرته أن الرجل قد مات.. فأجهش زميلي بالبكاء.. أما أنا فقد شهقت شهقة وأصبحت دموعي لا تقف.. أصبح منظرنا داخل السيارة مؤثرًا، وصلنا المستشفى.. أخبرنا كل من قابلنا عن قصة الرجل.. الكثيرون تأثروا من حادثة موته وذرفت دموعهم.. أحدهم بعدما سمع قصة الرجل ذهب وقبَّل جبينه.. الجميع أصروا على عدم الذهاب حتى يعرفوا متى يُصلَّى عليه ليتمكنوا من الصلاة عليه.. اتصل أحد الموظفين في المستشفى بمنزل المتوفى .. كان المتحدث أخاه.. قال عنه: إنه كان يذهب كل اثنين لزيارة جدته الوحيدة في القرية.. كان يتفقد الأرامل والأيتام والمساكين.. كانت تلك القرية تعرفه فهو يحضر لهم الكتب والأشرطة الدينية.. وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسكر لتوزيعها على المحتاجين.. وحتى حلوى الأطفال لا ينساها ليفرحهم بها.. وكان يرد على منه يثنيه عن

السفر ويذكر له طول الطريق قائلًا إنني أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته وسماع الأشرطة والمحاضرات الدينية.. وإنني أحتسب عند الله كل خطوة أخطوها.. وبالغد غُص المسجد بالمصلين.. صلى عليه جموع المسلمين الكثيرة، وبعد أن انتهينا من الصلاة حملناه إلى المقبرة.. أدخلناه في تلك الحفرة الضيقة.. استقبل أول أيام الآخرة.

<<>>

## توبة شاب .. لاه

حدثت هذه القصة في أسواق العويس بالرياض.. يقول أحد الصالحين: كنت أتجول بسيارتي بجانب السوق فإذا شاب يغازل فتاة، يقول: فترددت هل أنصحه أم لا؟ ثم عزمت على أن أنصحه، فلما نزلت من السيارة هربت الفتاة وخاف الشاب، توقَّعا أنني من هيئة الحسبة، فسلمت على الشاب وقلت: أنا لست من الهيئة ولا من الشرطة، وإنما أخٌ أحببتُ لك الخير فأحببت أن أنصحك.. ثم جلسنا وبدأت أذكره بالله حتى ذرفت عيناه ثم تفرقنا وأخذت رقم هاتفه وأخذ رقم هاتفي.. وبعد أسبوعين كنت أفتش في جيبي فوجدت رقم الشاب فقلت: أتصل به وكان وقت الصباح فاتصلت به وقلت: السلام عليكم يا فلان، هل عرفتني؟ قال: وكيف لا أعرف الصوت الذي سمعت به كلمات الهداية وأبصرت النور وطريق الحق!

اتفقنا على موعد اللقاء بعد العصر، وقدّر الله أن يأتيني

ضيوف، فتأخرت على صاحبي حوالي الساعة ثم ترددت هل أذهب أم لا، فقلت: أفي بوعدي ولو متأخرًا، وعندما طرقت الباب فتح لي والده، فقلت: السلام عليكم، قال: وعليكم السلام، قلت: فلان موجود، فأخذ ينظر إليَّ، قلت: فلان موجود، وهو ينظر إليَّ باستغراب، قال: يا ولدي هذا تراب قبره قد دفناه منذ قليل.. قلت: لقد كلمني في الصباح، فقال الأب: لقد صلى الظهر ثم جلس في المسجد يقرأ القرآن وعاد إلى البيت ونام القيلولة فلما أردنا إيقاظه للغداء فإذا روحه قد فاضت إلى الله.

يقول الأب: ولقد كان ابني من الذين يجاهرون بالمعصية لكنه قبل أسبوعين تغيرت حاله وأصبح هو الذي يوقظنا لصلاة الفجر بعد أن كان يرفض القيام للصلاة، ويجاهرنا بالمعصية في عقر دارنا، ثم منَّ الله عليه بالهداية.

ثم قال الرجل: متى عرفت ولدي يا بني؟ قلت: منذ أسبوعين، فقال: أنت الذي نصحته؟ قلت: نعم، قال: دعني أقبل رأسًا أنقذ ابني من النار.

ꕥ

## أبصر ..
## عند دنو الأجل

هذه القصة على لسان ولد الشيخ محمد العثمان رحمه الله وهو من علماء الكويت الأجلاء المعروفين لدى كبار السن فقد كان كفيفًا، وهو معروف لدى الكويتيين بصلاحه وقراءته على المرضى لعلاجهم، وقد شفى الله به الكثير من عباده.

أحس الشيخ في أحد الأيام باقتراب الأجل بعد صلاة المغرب، فطلب من ولده أن يأخذه للمستشفى وقال لولده: أنا جمعت صلاتي المغرب والعشاء تقديمًا لأنني أحس بدنو الأجل وستعود وحدك من المستشفى.

وبينما هما يسيران إلى المستشفى قال الشيخ لولده إنه يرى ملائكة في جانب الطريق وهم ينظرون إليه ويتبسمون (وهو أعمى أصلًا لا يبصر)، ولكنه أبصر عند دنو أجله، وكلما تقدما بالطريق يراهم يزدادون، أي الملائكة.

ولما وصلا إلى المستشفى وأدخلوه إلى غرفة العناية

الفائقة، وكانت الغرفة ضيقة وهو ينازع ويذكر الله كلما فاق ويقول لولده: أرى جمعًا كثيرًا في الغرفة وأرى نورًا، فيقول له ولده: ليس في الغرفة إلا أنا وأنت لكنه يصرُّ - أي الشيخ - على وجود الكثيرين، لكنه يقول لولده وهو في السكرات: سلِّمْ على والدتك وإخوانك والأقرباء، ثم تشهد ومات يرحمه الله

وعندما غسَّلوه وكفَّنوه وأنزلوه إلى قبره نزل معه ولده وأحد الحاضرين ليلحدوه، فلما فرغوا من دفنه وكان العزاء، سأل أحد الحضور عن ولد الشيخ الذي نزل القبر فأرشدوه إليه، فقال له: أنا الذي نزلت معك لنلحد أباك، فهل رأيت ما رأيت عندما أدخلنا جنازة الشيخ في لحده؟ قال: نعم، فيقول ولد الشيخ: عندما أدخلنا الشيخ محمد العثمان في لحده اتسع اللحد مد البصر، فسبحان الله العظيم.

رحم الله الشيخ محمد العثمان المعروف بصلاحه وذكره الكثير لله تبارك وتعالى وقراءة القرآن.

🙞🙜

# أريد أن أتوب

يقول راوي القصة: ذهبنا للدعوة إلى الله في قرية من القرى، فلما دخلناها وتعرفنا على خطيب الجامع فيها قال خطيب الجامع: أريد من أحدكم أن يخطب بدلًا مني غدًا الجمعة، فتشاورنا، فكانت الخطبة عليَّ أنا، فتوكَّلتُ على الله، وقمتُ في الجمعة خطيبًا ومُذكِّرًا وواعظًا، وتكلمت عن الموت، وعن السكرات، وعن القبر، وعن المحشر، وعن النار، وعن الجنة.

يقول: فإذا البكاء يرتفع في المسجد، فلما انتهينا من الصلاة، فإذا شابٌ ليس عليه سمات الالتزام، يتخطى الناس ويأتي إليَّ، وكان حليق اللحية، مسبل الثوب، ورائحة الدخان تنبعث من ثيابه، فوضع رأسه على صدري وهو يبكي بكاءً مرًّا، ويقول: أين أنتم يا أخي؟ أريد أن أتوب، مللت من المخدرات، مللت من الضياع.. أريد أن أتوب.

يقول: فأخذناه إلى مكان الوليمة الذي أعد لنا، فأعطيناه رقم الهاتف.. واتصل بنا بعد أيام وقال: لابد أن أراكم..

يقول: فذهبنا إليه وأخذناه لسماع محاضرة، وبعد أيام

اتصل بنا أيضًا وقال: سآتيكم.

يقول: فياللعجب! عندما رأيناه وقد قصَّر ثوبه، وأرخىٰ لحيته، وترك الدخان..

يقول: والله لقد رأيت النور يشع من وجهه، ثم ذهب من قريته إلىٰ مدينة أخرىٰ في نجد، ذهب إلىٰ أمه، جلس معها عند أخيه فإذا هو بالليل قائم وبالنهار صائم لمدة ثلاثة أشهر، وفي رمضان قال لأمه: أريد أن أذهب إلىٰ أفغانستان.. لا يكفر ذنوبي إلا الجهاد، قالت أمه: اذهب يا بني.. اذهب، رعاك الله.

ثم قال لأمه: بشرط أن أذهب بك يا أمي إلىٰ العمرة قبل أن أذهب إلىٰ أفغانستان، فإذا بأخيه يقول له: أخي، لا تذهب بسيارتي إلىٰ العمرة فقد اشتريتها بأقساط ربوية، فقال: والله لن أذهب إلىٰ مكة، ولكن سوف أذهب إلىٰ الرياض لأبيع هذه السيارة وأشتري لك سيارة خيرًا منها.

وفي طريقه إلىٰ الرياض تنقلب به السيارة ويموت وهو صائم.. ويموت وهو يحمل القرآن.. ويموت وهو ذاهبٌ إلىٰ أفغانستان.. ويموت وهو بارٌّ بأمه.. ويموت هو ينوي العمرة.

# الرحيل

بدت أختي شاحبة الوجه نحيلة الجسم.. لكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم.. تبحث عنها تجدها في مصلاها راكعة ساجدة رافعة يديها إلى السماء.. هكذا في الصباح وفي المساء وفي جوف الليل، لا تفتر ولا تمل..

كنت أحرص على قراءة المجلات الفنية والكتب ذات الطابع القصصي.. أشاهد الفيديو بكثرة حتى أنني عُرفت به.. ومن أكثر ما عُرفت به أنني لا أؤدي واجباتي كاملة، ولست منضبطة في صلواتي..

بعد أن أغلقت جهاز الفيديو وقد شاهدت أفلامًا منوعة لمدة ثلاث ساعات متواصلة.. ها هو ذا الأذان يرتفع من المسجد المجاور.. عدت إلى فراشي، تناديني من مصلاها.. قلت: نعم، ماذا تريدين يا نورة؟ قالت لي بنبرة حادة: لا تنامي قبل أن تصلي الفجر.. أوه.. بقي ساعة على صلاة الفجر، وما سمعته كان الأذان الأول..

بنبرتها الحنونة وهكذا هي حتى قبل أن يصيبها المرض الخبيث وتسقط طريحة الفراش نادتني: تعالي يا هناء إلى جانبي.. لا أستطيع إطلاقًا ردَّ طلبها.. تشعر بصفائها وصدقها، نعم ماذا تريدين؟ اجلسي.. ها قد جلست، ماذا تريدين؟ بصوت عذب: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران:١٨٥] سكتتُ برهة.. ثم سألتني: ألا تؤمنينَ بالموت؟.. بلى مؤمنة، ألا تؤمنينَ بأنك ستحاسبينَ عن كل صغيرة وكبيرة؟ بلى.. لكنَّ الله غفور رحيم، والعمر طويل..

يا أختي ألا تخافينَ من الموت وبغتته؟ انظري هندًا أصغر منك وتوفيت في حادث سيارة.. وفلانة وفلانة.. الموت لا يعرف العمر وليس مقياسًا له، أجبتها بصوت خائف حيث مصلاها المظلم.. إنني أخاف من الظلام وأخفتِني من الموت، كيف أنام الآن؟ كنت أظن أنكِ وافقتِ على السفر معنا هذه الإجازة.

وفجأة. تحشرج صوتها واهتز قلبي.. لعلي هذه السنة أسافر سفرًا بعيدًا، إلى مكان آخر.. ربما يا هناء، الأعمار بيد الله.. وانفجرتُ بالبكاء.. تفكرت في مرضها الخبيث وأن

الأطباء أخبروا أبي سرًّا أن المرض ربما لن يمهلها طويلًا.. ولكن من أخبرها بذلك.. أم أنها تتوقع هذا الشيء؟ ماذا بك؟ وبم تفكرين؟!

جاءني صوتها القوي هذه المرة.. هل تعتقدين أنني أقول هذا لأنني مريضة؟ كلا.. ربما أكون أطول عمرًا من الأصحاء.. وأنت إلى متى ستعيشين؟ ربما لعشرين سنة.. ربما أربعين.. ثم ماذا؟

لمعت يدها في الظلام وهزتها بقوة.. لا فرق بيننا، كلنا سنرحل وسنغادر هذه الدنيا إما إلى الجنة أو إلى النار.. تصبحين على خير.

هرولتُ مسرعة وصوتها يطرق أذني هداك الله.. لا تنسي الصلاة..

وفي الثامنة صباحًا أسمع طرقًا على الباب.. هذا ليس موعد استيقاظي.. بكاء ..وأصوات.. ماذا جرى؟ لقد تردت حالة نورة وذهب بها أبي إلى المستشفى.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. لا سفر هذه السنة، مكتوب علي البقاء هذه السنة في بيتنا.. بعد انتظار طويل..

وبعد الواحدة ظهرًا هاتفنا أبي من المستشفى.. تستطيعون زيارتها الآن.. هيا بسرعة.. أخبرتني أمي أن حديث أبي غير مطمئن وأن صوته متغير.. ركبنا السيارة.. أمي بجواري تدعو لها.. إنها بنت صالحة ومطيعة.. لم أرها تضيع وقتها أبدًا.. دخلنا من الباب الخارجي للمستشفى، وصعدنا درجات السلم بسرعة، قالت الممرضة: إنها في غرفة العناية المركزة وسآخذكم إليها، إنها بنت طيبة، وطمأنت أمي أنها في تحسن بعد الغيبوبة التي حدثت لها.. ممنوع الدخول لأكثر من شخص واحد.. هذه غرفة العناية المركزة.. وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التي في باب الغرفة أرى عيني أختي نورة تنظران إلي وأمي واقفة بجوارها..

بعد دقيقتين خرجت أمي التي لم تستطع إخفاء دمعتها، سمحوا لي بالدخول والسلام عليها بشرط ألا أتحدث معها كثيرًا.. كيف حالك يا نورة؟ لقد كنتِ بخير البارحة.. ماذا جرى لك؟

أجابتني بعد أن ضغطت على يدي: أنا الآن والحمد لله بخير، كنت جالسة على حافة السرير ولا مست ساقها فأبعدته

عني، قلت: آسفة إذا ضايقتكِ.. قالت: كلا، ولكنني تذكرت قول الله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة:٢٩ - ٣٠] عليك يا هناء بالدعاء لي، فربما أستقبل عما قريب أول أيام الآخرة.. سفري بعدي وزادي قليل.. سقطت دمعة من عينيَّ بعد أن سمعت ما قالت وبكيت.. لم أنتبه أين أنا.. استمرت عيناي في البكاء.. أصبح أبي خائفًا عليَّ أكثر من نورة.. لم يتعودوا مني البكاء والانطواء في غرفتي..

مع غروب شمس ذلك اليوم الحزين ساد صمت طويل في بيتنا.. دخلتْ عليَّ ابنة خالتي.. ابنة عمتي، أحداث سريعة.. كثر القادمون.. اختلطت الأصوات.. شيء واحد عرفته.. نورة ماتت. لم أعد أميز من جاء.. ولا أعرف ماذا قالوا.. يا الله!! أين أنا؟ وماذا يجري؟ عجزت حتى عن البكاء..

تذكرت من قاسمتني رحم أمي، فنحن توأمتان.. تذكرت من شاركتني همومي.. تذكرت من نفَّست عني كربتي.. من دعت لي بالهداية.. من ذرفت دموعها ليالي طويلة وهي تحدثني عن الموت والحساب.. الله المستعان.. هذه أول ليلة لها في قبرها. اللّهمَّ ارحمها ونوِّر لها قبرها.. هذا هو مصلاها.. وهذا

مصحفها.. وهذه سجادتها.. وهذا.. وهذا.. بل هذا هو فستانها الوردي الذي قالت لي سأخبئه لزواجي.. تذكرتها بكيت على أيامي الضائعة.. بكيت بكاءً متواصلًا، ودعوت الله أن يتوب عليَّ ويعفو عني.. دعوت الله أن يثبتها في قبرها كما كانت تحب أن تدعو.

߷ ߷

## خاتمة حسنة لمن حافظت على الصلاة

الليلة موعد زفافها.. كل الترتيبات قد اتخذت.

الكل مهتم بها.. أمها وأخوتها وجميع أقاربها.

بعد العصر ستأتي الكوافيرة لتقوم بتزيينها.

الوقت يمضي، لقد تأخرت الكوافيرة.

هاهي تأتي ومعها كامل عدتها، وتبدأ عملها بهمة ونشاط والوقت يمضي سريعًا (بسرعة قبل أن يدركنا المغرب) وتمضي اللحظات.

وفجأة ينطلق صوتٍ مدوٍ.. إنه صوت الحق.. إنه أذان المغرب.. العروس تطالب بالسرعة فوقت المغرب قصير.

الكوافيرة تقول نحتاج لبعض الوقت، اصبري فلم يبقَ إلا القليل..

ويمضي الوقت ويكاد وقت المغرب أن ينتهي..

العروس تصر على الصلاة.. والجميع يحاول أن يثنيها عن عزمها.. إنكِ إذا توضأتي فستهدمينَ كل ما قمنا به في ساعات، ولكنها تصر على موقفها، وتأتيها الفتاوى بأنواعها، فقائلة اجمعي المغرب مع العشاء وأخرى تقول تيممي.

ولكنها تعقد العزم وتتوكل على الله فما عند الله خير وأبقى، وتقوم بشموخ المسلم لتتوضأ.. ضاربة بعرض الحائط نصائح أهلها.. وتبدأ الوضوء (بسم الله).. حيث أفسد وضوؤها ما عملته الكوافيرة..

وتفرش سجادتها لتبدأ الصلاة (الله أكبر).. نعم، الله أكبر من كل شيء.. نعم، الله أكبر مهما كلف الأمر..

وهاهي في التشهد الأخير من صلاتها وهذه ليلة لقائها مع عريسها..

ها قد أنهت صلاتها.. وما إن سلّمت على يسارها حتى أسلمت روحها إلى بارئها، ورحلت طائعة لربها عاصية لشيطانها.

أسأل الله أن تكون قد زُفت إلى جنانها.

## هذا الطفل الذي أهدى إليَّ حياتي

قصة معبرة.. كم منا سيسقط في هذا الفخ المسمى بالإنترنت.. اللَّهُمَّ سلِّم... اللَّهُمَّ ارحمنا..

كنت يومًا في زيارة لأحد الأصدقاء ومعي ابني عبد الرحمن الذي لم يتجاوز السبع سنوات، وبينما صديقي في المطبخ لإعداد الشاي احتججت أن أستعمل جهازه.. وأنا أستخدم برنامج الكتابة أخذ ابني يداعبني ويمازحني ويطلب مني أن أشغل له نشيدًا عن طريق برنامج الـ Real Player، وهو يظن أن لدى صديقي نفس تلك الأناشيد، وحاولت أن أفهمه أن تلك الأناشيد ليست في هذا الجهاز.. ولكنه أبى إلا أن أجرب له وأبحث..

وعندها قلت له انظر بنفسك.. وكان يعرف كيفية فتح ملفات الأناشيد والقرآن الكريم والمحاضرات.. وبينما هو يبحث في الملفات نظرت إلى ملف وإذا به تحت اسم «سفينة البحر»، فقلت لعله برنامج أو صور عن تلك السفينة..

وبينما أنا أفكر ما بالملف.. لم يمهلني ولدي وقام بفتح الملف.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.. لقد كان الملف عبارة عن لقطة قذرة لممارسة الجنس..

تسمَّر ولدي أمام تلك اللقطة.. وبدأ قلبي ينبض وارتعدتُ.. ماذا أفعل؟! ولم أتمالك نفسي إلا وأنا أمسك بعيني ولدي وأغمضها قسرًا، وأضع يدي الأخرىٰ علىٰ الجهاز (الشاشة).. وفجأة قمت بإغلاق الجهاز.. وابني مصدوم مما رأىٰ..

لم أستطع النظر إليه، وبدأ قلبي ينبض، وكانت الأفكار تدور برأسي.. كيف أعلّمه.. ماذا أقول له.. كيف أخرجه من هذا الوحل الذي رآه.. وكيف.. وكيف..

بينما أنا كذلك نظر لي ولدي وهو يقول: بابا.. عمو هذا ليس طيبًا.. وأنت دائمًا تقول لي: لا تصاحب إلا الطيبين.. كيف تصاحبه؟

بابا.. اوعدني أنك لن تكلم عمو هنا بعد اليوم.. -

نزلت هذه الكلمات كالبَرَد الشافي علىٰ قلبي.. قبَّلت رأسه، وقلت له: وأنا أعدك يا بني ألا أصاحب الأشرار.. ولكن أريد منك شيئًا واحدًا، فقال: ما هو؟ قلت: أن تقول لعمو: هذا حرام.. فوعدني بذلك وانطلق إلىٰ صديقي بالمطبخ، وقال له: عمو، عمو،

ممكن أقول لك شيئًا، وكان صديقي يحب عبد الرحمن كثيرًا، أجاب صديقي وهو منشغل بتحضير الشاي.. ما هو يا حبيبي؟ قال ولدي: عمو، أنت تحب ربنا.. أجاب صديقي وبدأ يلتفت إلىٰ ابني ويقول: كلنا نحب ربنا، فقال ابني: وتريد أن يحبك الله..

ترك صديقي ما بيده واستدار إلىٰ ابني وهو يقول: لماذا تقول هذا الكلام يا حبيبي؟ وأخذ يمسح علىٰ رأسه، فقال ابني له: عمو، هذا الجهاز عليه شيء لا يرضي ربنا.. عمو.. وتلعثم ابني ولم يدرِ ما يقول.. تسمَّر زميلي.. وقد علم ما يقصد ابني..

عندها ضم صغيري، وأخذت الدموع تنهمر من عينيه، وهو يقول: سامحني يا حبيبي.. وضمه مرة أخرىٰ وهو يقول: يا رب سامحني.. يا رب سامحني.. كيف ألقاك وأنا أعصيك؟ دخلت عليه.. وقد كنت أسمع الحوار الذي دار بينهما.. ولم أدرِ ما أفعل..

كان صغيري يقول له: عمو، أنا أحبك وبابا يحبك، ونريدك معنا في الجنة.

ازداد زميلي بالبكاء والتضرع.. وهو يقول: لقد أهدىٰ لي ابنك حياتي..

أخذ يبكي.. عندها أخذت بتذكيره بـالله والتوبـة.. وأن الله يغفر الذنوب جميعًا.. وهو يقول: لقد أهدىٰ إليَّ ابنك حياتي..

لم أعرف كيف مر الموقف.. ما أذكره أنني تركته وذهبت إلىٰ بيتي ومعي ابني وهو علىٰ حاله تلك من التضرع لله بأن يغفر له

في منتصف الليل.. دقت ساعة التليفون..قمت لأُجيب.. وإذا به أخوه يقول: أدرك صاحبك، يريدك أن تأتي الساعة.. ومعك ابنك عبد الرحمن..

ذهبت إلىٰ غرفة ابني، وأيقظته وأخذته معي وكلي قلق ما الذي حدث لصديقي..

دخلت بسرعة ومعي عبد الرحمن.. ورأيت صديقي وهو يبكي كما تركناه.. سلمت عليه وما أن رأىٰ ابني حتىٰ عانقه.. وقال: هذا الذي أهدىٰ إلي حياتي.. هذا الذي هداني..

بدأ صديقي يتمتم بكلمات في نفسه، وكانت الغرفة مليئة بأقربائه.. وسط هذه الدهشة من الجميع قال لي ابني: بابا، عمو يقول لا إله إلا الله.. بابا، عمو يحب الله..

وفجأة..سقط صديقي مغشيًا عليه.. ومات وهو بين يدي ابني عبد الرحمن.

## شاب متعبد وامرأة جميلة

حُكي عن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال: كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم للمسجد الجامع، لا يكاد يخلو منه، وكان حسن الوجه، حسن الصمت.

وذات يوم رأته امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به، وطال ذلك عليهما، فلما كان ذات يوم وقفت له على طريق وهو يريد المسجد، فقالت له: يا هذا، اسمع مني كلمة أكلمك بها ثم اعمل ما شئت، فمضى ولم يكلمها.

ثم وقفت له بعد ذلك على طريق وهو يريد منزله، فقالت له: يا فتى، اسمع مني كلمات أكلمك بهن، فأطرق الشاب مليًّا وقال لها: هذا موقف تهمة، وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعًا.. فقالت: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك، ولكن معاذ الله أن يشرف العباد لمثل هذا مني، والذي حملني على أن أكون في هذا الأمر معرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير، وأنتم معاشر العباد في مثل هذه القرية يغيركم أدنى شيء. وجملة ما أكلمك به أن جوارحي مشغولة بك، فالله الله في أمري وأمرك.

مضىٰ الشاب إلىٰ منزله فأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي، وأخذ قرطاسًا وكتب كتابًا وخرج من منزله، فإذا المرأة واقفة في موضعها، فألقىٰ إليها الكتاب ورجع إلىٰ منزله.

وكان في الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم.. اعلمي أيتها المرأة أن الله تبارك وتعالىٰ إذا عصىٰ مسلمٌ ستره، فإذا عاد العبد في المعصية ستره، فإذا لبس ملابسها غضب الله ﷻ لنفسه غضبة تضيق منها السماوات والأرض والجبال والشجر والدواب.. فمن يطيق غضبه!

فإن كان ما ذكرت باطلًا فإني أذكرك يوم تكون السماء كالمُهل وتكون الجبال كالعِهن وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم فإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف عن غيري..

وإن كان ما ذكرت حقًا فإني أدلك علىٰ طبيب يداوي الكلوم الممرضة والأوجاع المومضة، ذلك رب العالمين، فاقصديه علىٰ صدق المسألة، فأنا متشاغل عنك بقوله ﷻ:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٨ - ١٩] - فأين المهرب من هذا؟

ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت على طريقه، فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله لئلا يراها، فقالت له: يا فتى، لا ترجع، فالملتقى بعد هذا بين يدي الله ﷻ، وبكت بكاءً شديدًا، وقالت: أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما عسر من أمرك، ثم تبعته فقالت: امنن عليّ بموعظة أحملها، وأوصني بوصية أعمل بها..

فقال لها الفتى: أوصيك بتقوى الله وحفظ لسانك واذكري قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠]

فأطرقت تبكي بكاءً شديدًا أشد من بكائها الأول، ولزمت بيتها، وأخذت في العبادة، فلم تزل كذلك حتى ماتت كمدًا، فكان الفتى يذكرها بعد ذلك ويبكي رحمة لها

**هذه المرأة، وإن لم تنل من محبوبها أملا، فقد نالت به قصدًا صالحًا وعملا طيبًا، فرزقها الله بسببه الإنابة وسهّل عليها بموعظته العبادة، ولعلها في الآخرة يتحصل قصدها، ويجتمع بمن أحبته شملها.**

# صالحون على فراش الموت

- **أبو بكر الصديق ﷺ :**

لما احتضر أبو بكر الصديق ﷺ وأرضاه حين وفاته قال: وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد..

وقال لعائشة: انظروا ثوبي هذين، فاغسلوهما وكفنوني فيهما، فإن الحي أولى بالجديد من الميت.

وقال لعمر: «إني أوصيك بوصية، إن أنت قبلت عني.. إن لله ﷻ حقًّا بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله حقًّا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقلت ذلك عليهم، وحُق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلًا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل، وخفته عليهم في الدنيا، وحُق لميزان أن يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفًا».

- **عمر بن الخطاب رضي الله عنه**

ولما طعن عمر جاء عبد الله بن عباس، فقال: يا أمير المؤمنين، أسلمتَ حين كفر الناس، وجاهدتَ مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقُتلتَ شهيدًا ولم يختلف عليك اثنان، وتُوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ.

فقال له عمر: أعد مقالتك، فأعاد عليه: فقال: المغرور من غررتموه، والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس أو غربت لافتديت به من هو المطلع.

وقال عبد الله بن عمر: كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه..

فقال: ضع رأسي على الأرض، فقلت: ما عليك كان على الأرض أو كان على فخذي؟!

فقال: لا أمَّ لك، ضعه على الأرض.. فقال عبد الله: فوضعته على الأرض.. فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي ﷻ

- **عثمان بن عفان رضي الله عنه:**

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه حين طعنه الغادرون والدماء تسيل على لحيته:

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين..

اللَّهُمَّ إنني أستعينك على جميع أموري، وأسألك الصبر على بليتي. ولما استشهد فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقًا مقفلًا ففتحوه فوجدوا فيه ورقة مكتوبًا عليها: هذه وصية عثمان.. بسم الله الرحمن الرحيم.. عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد.. عليها يحيا وعليها يموت وعليها يُبعث إن شاء الله.

- **علي بن ابي طالب ﵁:**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ بعد أن طعن: ما فُعل بضاربي؟ قالوا: أخذناه، قال: أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها..

ثم أوصى الحسن أن يغسّله وقال: لا تغالِ في الكفن، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سلبًا سريعًا»..

وأوصى: أمشوا بي بين المشيتين، لا تسرعوا بي، ولا تبطئوا؛ فإن كان خيرًا عجلتموني إليه، وإن كان شرًا ألقيتموني عن أكتافكم.

● **معاذ بن جبل رضي الله عنه:**

نادى الصحابي الجليل معاذ بن جبل ربه حين حضرته الوفاة قائلًا: وجاءت ساعة الاحتضار.. يا رب إنني كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك.. اللَّهُمَّ إنك تعلم أنني ما كنت أحب الدنيا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، وإنما لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق العلم.. ثم فاضت روحه بعد أن قال: لا إله إلا الله..

روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**نعم الرجل معاذ بن جبل**».

وروى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**أرحم الناس بأمتي أبو بكر**... إلى أن قال: «**وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ**».

● **بلال بن رباح رضي الله عنه:**

حينما أتى بلال بن رباح رضي الله عنه وأرضاه الموتُ قالت زوجته: واحزناه! فكشف الغطاء عن وجهه وهو في سكرات

الموت، وقال: لا تقولي واحزناه، وقولي: وافرحاه، ثم قال: غدًا ألقىٰ الأحبة.. محمدًا وصحبه.

- **أبو ذر الغفاري** رضي الله عنه:

لما حضرت الوفاة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه بكت زوجته، فقال: ما يبكيك؟

قالت: وكيف لا أبكي وأنت تموت بأرض فلاة وليس معنا ثوب يسعك كفنًا!

فقال لها: لا تبكي، وابشري، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا منهم: «**ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين**»، وليس من أولئك النفر أحد إلا ومات في قرية وجماعة، وأنا الذي أموت بفلاة، والله ما كَذَبْتُ وَلا كُذِّبْتُ فانظري الطريق.

قالت: أنىٰ وقد ذهب الحاج وتقطعت الطريق، فقال: انظري، فإذا أنا برجال فألحت ثوبي فأسرعوا إليَّ فقالوا: ما لك يا أمة الله؟ قالت: امرؤ من المسلمين تكفنونه، فقالوا: من هو؟ قالت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله، ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، ودخلوا عليه، فبشرهم وذكر لهم الحديث، وقال:

أنشدكم بالله، لا يكفنني أحد كان أميرًا أو عريفًا أو بريدًا، فكل القوم كانوا قد نالوا من ذلك شيئًا غير فتى من الأنصار فكفنه في ثوبين لذلك الفتى وصلى عليه عبد الله بن مسعود، فكان في ذلك القوم رضي الله عنهم أجمعين.

- **أبو الدرداء رضي الله عنه:**

قال الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه وأرضاه حين حضره الموت: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه؟ ثم قُبض رضي الله عنه.

- **سلمان الفارسي رضي الله عنه:**

بكى سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه عند موته، فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: عهد إلينا رسول الله ﷺ أن يكون زاد أحدنا كزاد الراكب، وحولي هذه الأزواد..

وقيل: إنما كان حوله إجانة وجفنة ومطهرة!

الإجانة: إناء يجمع فيه الماء.

الجفنة: القصعة يوضع فيها الماء والطعام.

المِطهرة: إنا يتطهر فيه.

● **عبد الله بن مسعود ﷺ:**

لما حضر الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ الموت دعا ابنه فقال: يا عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، إني أوصيك بخمس خصال، فاحفظهن عني:

أظهر اليأس للناس، فإن ذلك غنى فاضل.

ودع مطلب الحاجات إلى الناس، فإن ذلك فقر حاضر.

ودع ما تعتذر منه من الأمور، ولا تعمل به.

وإن استطعت ألا يأتي عليك يوم إلا وأنت خير منك بالأمس، فافعل.

وإذا صليت صلاة فصلِّ صلاة مودع، كأنك لا تصلي بعدها.

● **الحسن بن علي ﷺ:**

لما حضر الموت الحسن بن علي سبط رسول الله وسيد شباب أهل الجنة ﷺ قال:

أخرجوا فراشي إلى صحن الدار، فأخرجه فقال: اللَّهُمَّ إني أحتسب نفسي عندك، فإني لم أصب بمثلها!

- **معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :**

قال الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عند موته لمن حوله: أجلسوني.. فأجلسوه.. فجلس يذكر الله، ثم بكى.. وقال: الآن يا معاوية.. جئت تذكر ربك بعد الانحطام والانهدام، أما كان هذا وغض الشباب نضير ريان؟! ثم بكى وقال: يا رب، يا رب، ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي.. اللَّهُمَّ أَقِلِ العثرة، واغفر الزلة، وجُدْ بحلمك على من لم يرجُ غيرك ولا وثق بأحد سواك..

ثم فاضت روحه رضي الله عنه.

- **عمرو بن العاص رضي الله عنه :**

بكى الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه حين حضره الموت بكاءً طويلًا، وحوَّل وجهه إلى الجدار، فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبتاه؟ أما بشرك رسول الله!

فأقبل عمرو رضي الله عنه إليهم بوجهه وقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.. إني كنت على أطباق ثلاث..

لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار..

فلما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعنك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي.. فقال: **«ما لك يا عمرو؟»** قلت: أردت أن أشترط، فقال: **«تشترط ماذا؟»**

قلت: أن يغفر لي.. فقال: **«أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»** وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني إجلالًا له، ولو قيل لي صفه ما استطعت أن أصفه، لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو متُّ على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة..

ثم ولينا أشياء، ما أدري ما حالي فيها؟ فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فسنوا عليَّ التراب سنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي؟

- **أبو موسى الأشعري رضي الله عنه:**

لما حضرت الوفاة الصحابي الجليل أبا موسى الأشعري رضي الله عنه دعا فتيانه، وقال لهم: اذهبوا فاحفروا لي وأعمقوا، ففعلوا، فقال: اجلسوا بي، فوالذي نفسي بيده إنها لإحدى المنزلتين، إما ليوسعن قبري حتى تكون كل زاوية أربعين ذراعًا، وليفتحن لي باب من أبواب الجنة، فلأنظرن إلى منزلي فيها وإلى أزواجي، وإلى ما أعد الله عز وجل لي فيها من النعيم، ثم لأنا أهدى إلى منزلي في الجنة مني اليوم إلى أهلي، وليصيبني من روحها وريحانها حتى أبعث..

وإن كانت الأخرى ليضيقنَّ عليَّ قبري حتى تختلف منه أضلاعي، حتى يكون أضيق من كذا وكذا، وليفتحن لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرن إلى مقعدي وإلى ما أعد الله عز وجل فيها من السلاسل والأغلال والقرناء، ثم لأنا إلى مقعدي من جهنم لأهدى مني اليوم إلى منزلي، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث.

- **سعد بن الربيع رضي الله عنه:**

لما انتهت غزوة أحد قال رسول الله ﷺ: «**من يذهب فينظر ماذا فعل سعد بن الربيع؟**»

فدار رجل من الصحابة بين القتلى، فأبصره سعد بن الربيع قبل أن تفيض روحه، فناداه: ماذا تفعل؟

فقال: إن رسول الله ﷺ بعثني لأنظر ماذا فعلت؟ فقال سعد: أقرئ رسول الله ﷺ مني السلام، وأخبره أنني ميت وأنني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وأنفذت في، فأنا هالك لا محالة، واقرأ على قومي مني السلام وقل لهم: يا قوم.. لا عذر لكم إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف.

- **عبد الله بن عمر رضي الله عنه:**

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه قبل أن تفيض روحه: ما آسى من الدنيا على شيء إلا على ثلاثة:

ظمأ الهواجر ومكابدة الليل ومراوحة الأقدام بالقيام لله ﷻ.

- **عبادة بن الصامت رضي الله عنه:**

لما حضرت عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه الوفاة قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن، ثم قال: اجمعوا لي مواليَّ وخدمي وجيراني ومن كان يدخل عليَّ، فجمعوا له، فقال: إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليَّ من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة،

وإنه لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء، وهو والذي نفس عبادة بيده، القصاص يوم القيامة، وأحرج على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني قبل أن تخرج نفسي..

فقالوا: بل كنت والدًا وكنت مؤدبًا، فقال: أغفرتم لي ما كان من ذلك؟

قالوا: نعم.

فقال: اللَّهُمَّ اشهد.. أما الآن فاحفظوا وصيتي..

أحرج على كل إنسان منكم أن يبكي، فإذا خرجت نفسي فتوضؤوا فأحسنوا الوضوء، ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجدًا فيصلي ثم يستغفر لعبادة ولنفسه، فإن الله ﷻ قال: واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، ثم أسرعوا بي إلى حفرتي، ولا تتبعوني بنار.

- **الإمام الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

دخل المزني على الإمام الشافعي في مرضه الذي توفي فيه فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟!

فقال الشافعي: أصبحت من الدنيا راحلًا، وللإخوان

مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، ولكأس المنية شاربًا، وعلى الله واردًا، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها..

ثم أنشأ يقول:

**ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي**
**جعلت رجائي نحو عفوك**

**تعاظمني ذنبي فلما قرنته**
**بعفوك ربي كان عفوك أعظما**

**فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل**
**تجود وتعفو مِنَّةً وتكرُّما**

- **الحسن البصري** رحمه الله:

حينما حضرت الحسن البصري المنية حرك يديه وقال: هذه منزلة صبر واستسلام!

- **عبد الله بن المبارك** رحمه الله:

العالم العابد الزاهد المجاهد عبد الله بن المبارك، حينما جاءته الوفاة اشتدت عليه سكرات الموت ثم أفاق.. ورفع

الغطاء عن وجهه وابتسم قائلًا:

لمثل هذا فليعمل العاملون .. لا إله إلا الله. ثم فاضت روحه.

• **الفضيل بن عياض** رحمه الله:

العالم العابد الفضيل بن عياض الشهير بعابد الحرمين لما حضرته الوفاة غشي عليه، ثم أفاق، وقال:

وا بُعد سفراه! وا قِلة زاداه!

• **محمد بن سيرين** رحمه الله:

روي أنه لما حضرت محمدَ بن سيرين الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: أبكي لتفريطي في الأيام الخالية، وقلة عملي للجنة العالية، وما ينجيني من النار الحامية.

• **عمر بن عبد العزيز (خامس الخلفاء)** رضي الله عنه:

الخليفة العادل الزاهد عمر بن عبد العزيز لما حضر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الموت قال لبنيه وكان مسلمة بن عبد الملك حاضرًا:

يا بني، إني قد تركت لكم خيرًا كثيرًا لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقًا..

يا بني، إني قد خُيِّرتُ بين أمرين، إما أن تستغنوا وأدخل النار، أو تفتقروا وأدخل الجنة، فأرئ أن تفتقروا إلى ذلك أحب إليَّ، قوموا عصمكم الله.. قوموا رزقكم الله .. قوموا عني، فإني أرئ خلقًا ما يزدادون إلا كثرة، ما هم بجن ولا إنس.

قال مسلمة: فقمنا وتركناه، وتنحينا عنه، وسمعنا قائلًا يقول: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين.

ثم خفت الصوت، فقمنا فدخلنا، فإذا هو ميت مغمض مسجى.

- **أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ﵀:**

أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يروئ أن عبد الملك بن مروان لما أحس بالموت قال: ارفعوني على شرف، ففعل ذلك، فتنسم الروح، ثم قال: يا دنيا ما أطيبك! إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لحقير، وإن كنا منك لفي غرور!

- **هشام بن عبد الملك** رحمه الله:

لما احتضر هشام بن عبد الملك نظر إلى أهله يبكون حوله فقال: جاء هشام إليكم بالدنيا وجئتم له بالبكاء، ترك لكم ما جمع، وتركتم له ما حمل، ما أعظم مصيبة هشام إن لم يرحمه الله!

- **الخليفة المأمون** رحمه الله:

حين حضر المأمون الموت قال: أنزلوني من على السرير، فأنزلوه على الأرض، فوضع خده على التراب، وقال: يا من لا يزول ملكه.. ارحم من قد زال ملكه.

- **أمير المؤمنين الخليفة المعتصم** رحمه الله:

قال المعتصم عند موته: لو علمت أن عمري قصير هكذا ما فعلت!

- **الخليفة المجاهد: هارون الرشيد** رحمه الله:

أمير المؤمنين الخليفة الزاهد المجاهد هارون الرشيد لما مرض هارون الرشيد، ويئس الأطباء من شفائه، وأحس بدنو أجله قال: أحضروا لي أكفانًا فأحضروا له، فقال: احفروا لي قبرًا، فحفروا له.. فنظر إلى القبر وقال: ما أغنى عني ماليه! هلك عني سلطانيه!

# إلى الرفيق الأعلى

لنذكر اللحظات الأخيرة في حياة أعظم البشر وأكرم إنسان، إنه المصطفى ﷺ، تلك اللحظات التي كلما قرأتها أو تذكرتها بكيت حزنًا على فراقه ﷺ وشوقًا إلى لقائه، وتختلط مشاعري فلا أدري وأنا أبكي هل أنا حزين أم مشتاق؟

إنها أجمل وأعظم لحظة بالنسبة إلى محمد ﷺ في حجة الوداع، وبينما كان رسول الله ﷺ يخطب الناس نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣].

فعرف ﷺ أنه سيودع الدنيا فقال: «**إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»، وقال لعلي: «**لا أحج بعد عامي هذا**»، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وفي أوائل السنة الحادية عشرة من الهجرة ذهب رسول الله ﷺ ليزور شهداء أحد فصلى عليهم ودعا لهم وقال: «**إني أشهد**

**الله أني عنكم راض**»، ورجع رسول الله ﷺ من المقابر، وهو في الطريق بكى وقال: «**وددت أني لقيت إخواني**» فقالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**لا، أنتم أصحابي، وإخواني الذين يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني**».

وفي بعض الروايات: «**يود الواحد منهم لو رآني بأهله وماله**»..

فداك أبي وأمي يا رسول الله، والله إنا نود أن نراك ولو فقدنا كل شيء.

وبعد فترة خرج رسول الله ﷺ يودع أيضًا أهل البقيع في مقابر البقيع، فدعا لهم واستغفر، وقال: «**السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنأ لكم بما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه**» أي هنيئًا لكم ما أنتم فيه ثم قال: «**أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها والآخرة شر من الأولى**»، ثم بشَّر أهل المقابر فقال: «**إنا إن شاء الله بكم لاحقون**».

وعندما رجع رسول الله ﷺ من البقيع أصابه المرض، وداهمه صداع رهيب، وكان يوم الاثنين، فجعل رسول الله ﷺ يربط عصابة على رأسه من شدة الألم حتى إن الصحابة رضي الله عنهم

كانوا يحسون بحرارة رأسه من فوق العصابة، وظل ﷺ يصلي بالناس أحد عشر يومًا، وفي الأسبوع الأخير اشتد المرض على رسول الله ﷺ، وكان يتمنى أن يمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها فجعل يقول لزوجاته: «**أتأذنون لي أن أمرَّض في بيت عائشة؟**» فقلن له: أذنا لك يا رسول الله، فأراد أن يقوم فما استطاع، فجاء علي بن أبي طالب والفضل بن العباس فحملا النبي ﷺ، وخرجا به من حجرة أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها إلى حجرة عائشة رضي الله عنها.

وكان الصحابة لأول مرة يرون النبي ﷺ محمولًا على الأيدي، وتجمع الصحابة، وقالوا: مات رسول الله؟ وبدأ الناس يتجمعون في مسجد رسول الله، وبدأ المسجد يمتلئ ويكتظ بأصحاب النبي ﷺ، ويُحمل النبي ﷺ إلى بيت أم المؤمنين عائشة، وبدأ المرض يشتد فكان ﷺ يتعرق عرقًا شديدًا، وجعلت عائشة تمسك يده الشريفة ﷺ، وتمسح العرق عن جبينه، ثم بدأت آلام السكرات، فقال النبي ﷺ: «**لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات. لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات**».

ثم بدأ صوت الناس يعلو في المسجد، فقال النبي لعائشة: ما هذا؟ فقالت: يا رسول الله، الناس يخافون عليك، فقال: **«احملوني إليهم»** فأراد أن يقوم فما استطاع أن يقوم فأُغمي عليه ﷺ فصبوا عليه سبع قرب من الماء كي يفيق وبعدها أفاق ﷺ وحُمل النبي وصعد إلى المنبر فكانت آخر خطوة للنبي ﷺ وآخر كلمات للنبي ﷺ وآخر دعاء من رسول الله ﷺ، وآخر نظرات من النبي ﷺ..

قال ﷺ: **«أيها الناس، كأنكم تخافون عليّ؟»** قالوا: نعم يا رسول الله، قال: **«أيها الناس، إن موعدي معكم عند الحوض، والله لكأني أنظر إليه من مقامي هنا، أيها الناس، والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تُفتح عليكم فتنافسوا كما تنافسها الذين من قبلكم فتهلككم كما أهلكت الذين من قبلكم»**، ثم قال: **«أيها الناس، الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، أوصيكم بالصلاة، أيها الناس، استوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عوان** (أسيرات) **عندكم، أيها الناس إن عبدًا خيَّره الله بين البقاء**

**في الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله»**[1].

فما أحد عرف قصده ﷺ من هذه الجملة سوى سيدنا أبي بكر الصديق، فبكى الصديق وانفجر بالبكاء وجعل نحيبه يعلو في المسجد ثم وقف وقاطع النبي ﷺ، وقال: فديناك بآبائنا يا رسول الله، فديناك بأمهاتنا يا رسول الله، فديناك بأولادنا يا رسول الله، فديناك بأزواجنا يا رسول الله، فديناك بأموالنا يا رسول الله.

وظل يرددها..

فنظر الناس إلى أبي بكر نظر استغراب، كيف يقاطع النبي؟! فأخذ النبي ﷺ يدافع عن أبي بكر قائلًا: **«أيها الناس، دعوا أبا بكر، فما منكم من أحد كان له عندنا من فضل إلا كافأناه به إلا أبا بكر لم أستطع مكافأته، فتركت مكافأته إلى الله ﷻ، كل الأبواب إلى المسجد تُسد إلا باب أبي بكر الصديق لا يُسد أبدًا»**..

ثم قال: **«أيها الناس، من كنت جلدت له ظهرًا، من كنت أخذت منه مالًا أو حقًا فهذا ظهري فليقتص مني»**، فجعل

(١) البخاري (٣٩٠٥) بنحوه، ومسلم (١٤٦٨).

الصحابة يبكون فقام رجل وقال: أنا يا رسول الله، لي عندك ثلاثة دراهم. فقال النبي ﷺ **«يا فضل بن العباس، أعطه ثلاثة دراهم»**، فأخذ الدراهم الثلاث وكان يقول: كنت أريد أن احتفظ بشيء من رسول الله ﷺ قبل أن يموت، ثم جعل النبي ﷺ ينظر بين المسلمين ويقلب عينيه بينهم ثم قال: **«آواكم الله، حفظكم الله، نصركم الله، ثبتكم الله، أيدكم الله»**.

وكانت هذه هي آخر كلماته ﷺ حيث قال: **«أيها الناس، أقرئوا مني السلام كل من تبعني من أمتي إلى يوم القيامة»**.

وحُمل مرة أخرى ﷺ من على المنبر، وتوجَّه إلى حجرة عائشة رضي الله عنها، ثم دخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر أخو عائشة وفي يده سواك، فجعل رسول الله ﷺ يشير إليه وينظر إلى السواك، ولكنه لم يستطع أن يطلبه من شدة مرضه.. قالت عائشة: فعلمت أنه يريده، فأخذت السواك من عبد الرحمن ونظفته، وجعلت تلينه بفمها، ثم دفعه إلى النبي ﷺ مرة أخرى حتى يكون طريًا عليه.

قالت: كان آخر شيء دخل جوف النبي ﷺ هو ريقي،

فكان من فضل الله علي أن جمع بين ريقي وريق النبي ﷺ قبل أن يموت.

تقول السيدة عائشة: ثم دخلت فاطمة بنت النبي ﷺ، فلما رأت النبي ﷺ مسجىً على الفراش بكت لأن النبي ﷺ لم يستطع القيام؛ لأنه كان يقبلها بين عينيها كلما جاءت إليه..

فقال النبي ﷺ: **«ادني مني يا فاطمة»**.

فهمس لها النبي ﷺ في أذنها، فبكت كثيرًا، فلما بكت همس لها مرة أخرى في أذنها فضحكت فسئلت بعد وفاته ماذا قال لك النبي؟ فقالت: قال لي في المرة الأولى: **«يا فاطمة، إني ميت الليلة»**، فبكيت، فلما وجدني أبكي قال: **«يا فاطمة، أنت أول أهلي لحوقًا بي»** فضحكت.

تقول السيدة عائشة: ثم قال النبي ﷺ: **«أخرجوا من عندي في البيت»**، وقال: **«ادني مني يا عائشة»**، فدنت منه، فوضع رأسه ﷺ على صدر زوجته، ثم دخل على رسول الله جبريل يستأذنه في دخول ملك الموت، وقال: يا رسول الله، ملك الموت بالباب، يستأذن أن يدخل عليك، وما استأذن على أحد من قبلك..

فقال النبي ﷺ: «**ائذن له يا جبريل**».

فدخل ملك الموت على النبي ﷺ، وقال: السلام عليك يا رسول الله، أرسلني الله أخيرك بين البقاء في الدنيا وبين أن تلحق بالله.

فقال النبي ﷺ: «**بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى**».

ووقف ملك الموت على رأس النبي ﷺ وقال: أيتها الروح الطيبة، روح محمد بن عبد الله، اخرجي إلى رضا من الله ورضوان، ورب راض غير غضبان، تقول السيدة عائشة: فثقل رأس النبي ﷺ على صدري، فعرفت أنه قد مات، فلم أدري ما أفعل، فما كان مني غير أن خرجت من حجرتي وفتحت بابي الذي يطل على الرجال في المسجد، وقلت: مات رسول الله، مات رسول الله..

تقول: فانفجر المسجد بالبكاء، فهذا علي بن أبي طالب أقعد، وهذا عثمان بن عفان كالصبي يؤخذ بيده يمنى ويسرى، وهذا عمر بن الخطاب يرفع سيفه ويقول: من قال إنه قد مات قطعت رأسه، إنه ذهب للقاء ربه كما ذهب موسى للقاء ربه وسيعود ويقتل من قال إنه قد مات، أما أبو بكر الصديق رضي الله عنه

فقد تحامل على نفسه ودخل على النبي واحتضنه وضمه إلى صدره وقال: واه خليلاه، واه صفياه، واه حبيباه، واه نبياه، وقبَّل النبي وقال: طبت حيًّا وطبت ميتًا يا رسول الله.

ثم خرج يبكي ويقول: أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت..

قال عمر: ثم تلا أبو بكر الصديق: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤]

قال عمر: فوالله لكأني أسمع هذه الآية لأول مرة، فعرفت أنه ﷺ قد مات، يقول: فخرجت أجري أبحث عن مكان أجلس فيه وحدي لأبكي وحدي، ثم غسَّله ﷺ الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب وأنس بن مالك، كان علي يصب الماء عليه ﷺ، والفضل يغسله ويدلك جسده ﷺ، ثم حُمل ودفن في زاوية في حجرة عائشة رضي الله عنها، ووقف الصحابة على قبره يدعون لنبيهم، ثم جاءت السيدة فاطمة تقول: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب على وجه

رسول الله، ووقفت تنعي النبي وتقول: يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه، جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه..

قال أنس: والله لقد كانت الليلة التي دخل فيها رسول الله ﷺ المدينة أكثر ليلة إضاءة وإشراقًا، وكانت الليلة التي خرج الرسول ﷺ من المدينة ورحل إلى الآخرة أظلم ليلة مرت علينا.

**وهكذا رحل النبي ﷺ في أحسن خاتمة فقد اختار رفيقه الأعلى سبحانه وتعالى**

## كلمة أخيرة

إخواني أخواتي كلنا سنموت، والله كلنا سنموت، والله كلنا سندخل القبر، والله كلنا سنحاسب، كلنا سنسأل..

ستسأل لماذا كنت تشاهد الأفلام الإباحية؟

- **لماذا كنت تنظر إلى الحرام؟**
- **لماذا كنت بعيداً عن واحة الإيمان؟**
- **لماذا لم تتخير ميتة كريمة؟**
- **لماذا سرقتك الدنيا وألهتك عن القرب من سيدك ومولاك؟**

**ألست تعشق الجنة؟**

**ألست تحب الفوز والرضوان؟**

**ألا تريدين صحبة أمهات المؤمنين؟**

**إذن، لماذا نموت على غير هذا الدين؟**

لنعاهد الله أن نعيش ساعاتنا القادمة على ما يرضي الملك سبحانه وتعالى..

ترى، هل ستترك حياتك تسير على ما هي عليه بعد وصايا رسول الله ﷺ لك في آخر كلمات له؟!

لا أدري ماذا ستفعل كي تصبر على ابتلاءات الدنيا.

❊❊

# المحتويات

* * *